ضرورة الالمام الواسع بواقع التجمعات اليهودية في مختلف البلدان الاوروبية، الامر الذي يدفع الباحث، والقارىء معه، الى الانتقال من بلد اوروبي الى آخر، بهدف الاحاطة بالتطورات السياسية هناك، والوقوف على مدى تأثيرها في التجمعات اليهودية، ومن ثم انعكاس تفاعلات هذه التجمعات على ما يجري في فلسطين.

٥ ـ لقد شهدت الساحة الفلسطينية، خلال المرحلة قيد الدراسة (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)، نمواً خطيراً للتجمع الاستيطاني الصهيوني. وشكلت هذه الفترة، بحق ـ كما يقول المؤلف في مقدمته ـ «... أهم المراحل، ان لم يكن اهمها على الاطلاق». لذا، فاننا سنحاول الاطلالة عليها، من خلال كتاب «تاريخ الصهيونية ـ الجزء الثاني...» والوقوف، بايجاز، على اهم ما ورد فيه، ومن ثم الوقوف، قليلاً، عند ملاحظات نقدية.

حقبة التأسيس

يحتوي الكتاب ستة فصول وملاحق ومراجع ومصادر وفهرس، بالاضافة الى مجموعة من الجداول والخرائط، تحتل ٥٨٧ صفحة.

يعالج الكاتب في الفصلين، الاول والثاني، الانتداب البريطاني على فلسطين «نظام الانتداب واطره» و «اسس الوطن القومي اليهودي» في الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٣. ويركز فيها على ان الهدف من نظام الانتداب الذي فرضته عصبة الامم المتحدة على فلسطين في ٢٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠، وأقرته في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢، واصبح ساري المفعول اعتباراً من ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٣، كان مزدوجاً: تلبية مصالح الدولة المحتلة المنتدبة (بريطانيا)، الامر الذي ينسجم مع اتفاقية سايكس ـ بيكو (١٩١٦) التي حددت مناطق اقتسام النفوذ الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا في المشرق العربي، وتلبية المصالح الصهيونية في خلق «وطن قومي يهودي» في فلسطين، تمشياً مع وعد بلفور (١٩١٧)، خلافاً لهدف الانتداب الذي فرضته عصبة الامم على اقطار عربية اخرى وافريقية، حيث اقتصر الهدف على تلبية المطامع الاستعمارية للدولة المنتدبة فقط. وقد لاحظ المؤلف حرص واضعي صك الانتداب على تحويله، ايضاً، الى «أدلة لتحقيق الوطن القومي في فلسطين...» (ص ٣٩).

خلال هذه الحقبة، تم تثبيت حدود الاقطار العربية المشرقية، استلهاماً من خارطة اتفاقية سايكس ـ بيكو. ومما يلفت النظر حرص الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية على توسيع الخارطة الفلسطينية الواردة في اتفاقية سايكس ـ بيكو، وبخاصة في القطاع الشمالي. وقد تم، عقب مداولات وصراعات مع الطرف الفرنسي، الاتفاق على توسيع الخارطة بنقل الخط المستقيم بين عكا ونقطة في شمال بحيرة طبريا الى رأس الناقورة ليتعرج من هناك الى الشرق ثم الى الشمال عند المطلة. ولم يؤخذ بخارطة الحركة الصهيونية التي سعت الى توسيع الحدود الى نقطة تقع جنوب صيدا، وتمتد شرقاً لتضم جنوب لبنان، بما فيه نهر الليطاني، ومنابع نهر الاردن، وكذلك مرتفعات وسهول الجولان (تفوق مساحتها مساحة الهضبة المحتلة حالياً). وفي ما يتعلق بالحدود الشرقية، فقد تم تقليص خارطة سايكس ـ بيكو الفلسطينية التي حاول زعماء الحركة الصهيونية التمسك بها، باعتبار ان شرق الاردن يقع ضمن مجال «الوطن القومي اليهودي»، واصبحت الحدود الشرقية، بناء على مرسوم اصدرته السلطات البريطانية عند مطلع أيلول (سبتمبر) ١٩٢٢، تمتد ابتداء من نقطة غرب العقبة عبر البحر الميت وعلى امتداد نهر الاردن وحتى المطلة. اما الحدود الجنوبية، فكانت ثبتت العام ١٩٠٦ بين مصر والحكومة العثمانية.

ضمن هذه الخارطة، اخذت الحركة الصهيونية تعمل جاهدة لتحويلها الى «وطن قومي» دون ان تخمد اطماعها في توسيعه. وهذا ما حاول المؤلف الاطلالة عليه من جوانب شتى، مستعرضاً نمو التجمع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين في كل فترة حتى عام ١٩٣٩، حيث تمكن هذا التجمع من اقامة «دولة داخل دولة» لها مؤسساتها المختلفة.

في هذين الفصلين، كما في سائر الفصول، يحرص المؤلف على الوقوف على موقف الطرفين الآخرين، الفلسطيني والبريطاني، اللذين نالا شرحاً وافياً في كتابه، مما ساعد على رسم صورة اوضح لمسار تطور النشاط الصهيوني خلال المرحلة المدروسة. فعلى الصعيد الفلسطيني، برزت، عقب الاحتلال مباشرة، جمعيات اسلامية